

أبو رضوان: أعطتني الموسيقى مساحة للتعبير

مؤسس فرقة «الكمنجاتي» الفنان الفلسطيني رمزي أبو رضوان: أعطتني الموسيقى مساحة للتعبير وفرصة للإبداع ولصنع حياة أفضل

رمزي أبو رضوان فنان موسيقي من فلسطين عاش طفولته في مخيم (الأمعري) للاجئين في رام الله في الضفة الغربية، كانت هوايته، وهو طفل صغير، رمي الحجارة على جنود الاحتلال الإسرائيلي إبان الانتفاضة الأولى والثانية. لم يكن يتصور الطفل رمزي أن أزعقه المخيم سوف تنقله إلى فرنسا لدراسة الموسيقى، ومنها لينطلق بسرعة البرق نحو العالمية كواحد من أفضل العازفين على الكمان. قصته طويلة ومريرة وملينة بقصص الفرح والعذاب. ومن ثم يعمل على تأسيس مشروع موسيقي مهم للشعب الفلسطيني من خلال فرقة الكمنجاتي. يقول الفنان: دخلت عالم الموسيقى وأنا في السابعة عشرة من العمر، عندما أقام الموسيقي الفلسطيني محمد فضل، وهو أيضاً لاجئ، ورشاً موسيقية للأطفال المخيم، وسمح لي بالمشاركة فيها حيث درّبتني بشكل مكثف. بعدها شاركت في أحد المهرجانات في الولايات المتحدة، حيث بهرتني الآلات والأوركسترا وكنت في بداية خطواتي نحو الموسيقى، ما جعلني أزداد تعلقاً بها وإصراراً على تعلّم العزف أكثر.

«المشاهد السياسي» - لندن

< بداية حدثنا عن تجربتك الشخصية على درب الموسيقى انطلاقاً من مخيم الأمعري... متى بدأت الرحلة؟ من هو معلمك الأول، وكيف تعلقت

بالموسيقى والعزف؟

> كطفل من مواليد أواخر السبعينيات 1979 ومن مخيم الأمعري، وبعد خوضي تجربة الانتفاضة الأولى ككثيرين من أبناء جبلي، شاء القدر في العام 1996 وفي سنّ السابعة عشرة من عمري، أن أدعى إلى المشاركة في ورشة موسيقية ينظمها مركز الفن الشعبي.. وهناك تعرّفت إلى الموسيقى على يد الموسيقي الفلسطيني محمد فضل. ويبدو أن تعرّفي بالموسيقى أوجد لي مساحة للتعبير وكان ملاذي من الواقع القاسي الذي عايشناه في تلك الفترة، خصوصاً مع تراكم الألم والغضب من كل ما كان يدور حولي كطفل، لا سيما مع مروري بتجربة خسارة أعزّ أصدقائي أمام عيني في عمر مبكر حيث لم أتجاوز الثامنة عندها. كانت الموسيقى في البداية ملجئ وسلواري ومن ثم شغفي. من هناك بدأت رحلتي في مجال الموسيقى، وأول أستاذ لي على آلة الفيولا هو الموسيقي الأميركي بيتر سولسكي، ومن ثم حصلت على منحة من القنصلية الفرنسية بالتعاون مع المعهد الوطني للموسيقى لإكمال دراستي الجامعية في مدينة أونجيه الفرنسية. وعليه أعطتني الموسيقى مساحة للتعبير وفرصة للإبداع ولصنع حياة أفضل. كان ذلك ما قرّته الموسيقى لي وما أردت أن أساهم في توفيره لكل طفل فلسطيني، فهي وسيلة تعبير قادرة على تحويل أية طاقة سلبية إلى إيجابية تنعكس على العازف والمتلقي، عدا عن دورها في بناء الشخصية وتوسيع المعرفة والادراك والتعرّف إلى ثقافات متنوّعة ومختلفة.

< لا ثابت إلا المتغيّر... هذا شعار من شعاراتكم.. هل لكم أن تشرحوا لنا ذلك، وهل يعني هذا أن لا ثابت أبداً في الفن؟

> هي ببساطة حقيقة من الحياة. فالزمن كمفهوم موجود إلا أنه متغيّر. والفن كان دوماً موجود كوسيلة تعبير إنسانية، إلا أن الحراك والتطوير والتراكم يساهم في حيويته وتنوّعه واختلافه. طبيعي هناك بعض العناصر، أو الأدوات، أو الآلات الثابتة، حسب نوع الفن. فعلى سبيل المثال: عنصر اللون في الفنون التشكيلية، السلم الموسيقي في اللغة الموسيقية، إلا أن العدد اللانهائي لطريقة استخدام اللون، أو كتابة النوتة الموسيقية هو ما يخلق الجديد والمتغيّر في جميع مدارس الفن المختلفة وأنواعه، ويغني ويضيف إلى الثقافة الإنسانية. لهذا نشهد مدارس فنية مختلفة ومتنوّعة من زمن إلى آخر؛ ومع مرور الزمن حتى مفهوم الجماليات في الفن يتغيّر مما يخلق جدلاً في الغالب فيما بين المعنيين من نقاد وفنانين وغيرهم. إضافة إلى ذلك، نحن في «الكمنجاتي» نتطلّع دوماً إلى المستقبل، والمتغيّر من البديهي أنه مرافق له. لهذا نعمل على

خلق فسحة للحراك والتبادل الموسيقي والثقافي من خلال دعوة فنانين وموسيقيين من الخارج، وبالعكس، دعم مشاركات طلابنا وفرقنا الموسيقية في الخارج من خلال الفعاليات، والمهرجانات والورش الموسيقية المحليّة والعالمية، لأننا نؤمن، وإن بدا الواقع ثابتاً، بأننا قادرون على تغييره إن عملنا وأمنّا.

لغة تواصل

< ما هو الفن بالنسبة إليك، وأين تقع الموسيقى من جوهر الفن وأشكاله المختلفة؟

> كما هو متعارف عليه، الفن لغة إنسانية فيها التواصل والحوار والتبادل فيما بين الفنان والمتلقي، سواء كان مرئياً، مسموعاً أو مكتوباً. يختلف بأنواعه وأساليبه وأدواته للتعبير عن إحساس أو فكرة أو رسالة. وكما في الفنون الأخرى، في الموسيقى تستخدم الآلات أو الأجسام غالباً لصنع الصوت والإيقاع وإنتاج النغمات. طبعاً هناك العازف أو المغني أو الاثنان معاً، فهو من الفنون الأدائية.. إلا أنني أعتبر الإيقاع هو الأساس، وهو بالفطرة جزء من التكوين الإنساني في نبض قلب كل كائن حيّ، فهو قريب جداً ومرافق لكل منا منذ لحظة الولادة وعبر حياتنا. وعليه، فالموسيقى ما هي إلا مجموعة من الإيقاعات تصنع النغمات لتتشكّل اللحن المسموع، ووصولها والاحساس بها فطري بالدرجة الأولى. بمعنى آخر، كي تتفاعل مع الموسيقى العربية الشرقية ليس بالضرورة أن تكون عربياً، والعكس صحيح للتفاعل مع الموسيقى الغربية بأنواعها ليس بالضرورة أن تكون غريباً. أخيراً فالموسيقى كوسيلة تعبير كغيرها من أنواع الفنون، في ظلّ ظروف قاسية تعزّز طاقة سلبية لدى الجميع على الأغلب، وتساهم في تحويل تلك الطاقة السلبية إلى إيجابية سواء للعازف أو المتلقي، وهذا ما نعمل عليه مع أطفالنا وشبابنا وأهاليهم والمجتمع الفلسطيني بعامّة.

الموسيقى للجميع

< تعتبرون الموسيقى احتفاءً بالوجود... من هم الموسيقيون الفلسطينيون في فلسطين والعالم الذين قدّموا إسهامات بارزة للثقافة الموسيقية لشعبهم الفلسطيني؟

> من بعض الرموز الموسيقية الفلسطينية التاريخية خلال القرن الماضي سلفادور عرنيطة، يوسف بتروني، أو جستن لاما، واصف جوهرية. وفي الزمن الحديث، كان من هؤلاء وأولهم الدكتور الراحل إدوارد سعيد، والذي ساهم في دعم الثقافة والتربية الموسيقية الفلسطينية عالمياً ومحلياً.

وهناك أيضاً الإخوة والأخوات مؤسسو المعهد الوطني للموسيقى : سلوى تابري، ربما ترزي، أمين ناصر، ناديا عبوشي، سهيل خوري، والذي ساهم منذ التسعينيات في تعزيز الثقافة الموسيقية وخلق جيل جديد من الموسيقيين المحترفين. ومن مؤسسات أخرى أمثال: سعيد مراد (مؤسسة صابرين)، (كلية بيرزيت)، جامعة النجاح، مركز الفن الشعبي، والتي كان وراءها أفراد، موسيقيين وغير موسيقيين، أضافوا إلى الحراك الموسيقي الفلسطيني.

وخلال الأعوام العشرة الماضية جاءت جمعية الكمنجاتي، والتي قمت بتأسيسها بمبادرتي الشخصية وأرأسها حالياً، والتي عملت على خلق نقلة نوعية في المشهد الثقافي الموسيقي، بإتاحة التربية الموسيقية لآلاف الفلسطينيين من شرائح المجتمع كافة، مما يساهم في تطوير الحراك الثقافي الموسيقي في فلسطين وبين الفلسطينيين أينما وجدوا. وعلى الصعيد العالمي حصلت الجمعية على مكانة مرموقة في المشهد الموسيقي العالمي. أخيراً، هناك عدد لا بأس به من الموسيقيين الفلسطينيين، أو من أصول فلسطينية في أنحاء العالم، والذين لهم ثقل فني وقدره على التأثير والمساهمة، ومنهم من حقق إنجازات كبيرة على صعيد الطموح الشخصي والفردية الموسيقي، وإن شاؤوا أو اختاروا هناك إمكانية تحقيق الجانبين الفردي والعام معاً.

ضد التطبيع

< هناك من يعتبر التواصل بين العرب واليهود عن طريق الفن عملاً من أعمال التطبيع مع إسرائيل: أين تقف الحدود بين التطبيع وبين

التواصل الإنساني؟ ومتى يكون التواصل تطبيعاً ومتى يكون نضالاً إنسانياً؟

> نحن ضد التطبيع، ومن البديهي أن نعتبر التواصل بين العرب واليهود تطبيعاً في ظلّ خلل المعادلة بين الشعب الفلسطيني والمحتل الإسرائيلي. التواصل الإنساني لا يمكن أن يكون مفروضاً وفيه تبادل بين طرفين يتقبل ويعترف بوجود كل منهما الآخر، وهو دائماً مفروض. هذا عموماً، وفي حالتنا الخاصة نتحدث هنا عن محتلّ ومحتل. والفن كما سبق وذكرنا لغة إنسانية، فكيف يمكن أن أتواصل إنسانياً مع محتليّ التواصل فيما بين البشر، وخصوصاً بهدف التعبير عن حالة إنسانية أو إيصال رسالة إنسانية أو قضية أو حقوق نص عليها وأقرتها قوانين الأمم المتحدة، سواء كان ذلك تعبيراً عن الذات أو الغالبية، هو نضال إنساني بالنسبة لي.

< بين موسيقى الجاز والموسيقى الكلاسيكية، والهييب هوب، والموسيقى الشرقية والفلسطينية التراثية، وهي أشكال وتجارب موسيقية متنوّعة... أين برع الفلسطينيون أكثر؟

> من الطبيعي أن يبرع الفلسطينيون في الموسيقى الشرقية والتراثية أمثال روجي الخماش، سيمون شاهين، سامي خشبون، بشارة الخل، خالد جبران، الإخوة جبران، خالد صدوق، عودة ترجمان، ريم البنا، ريم تلحمي، أمل مرقص، كاميليا جبران، وغيرهم كثيرون لا يسعني حصرهم هنا. إلا أن ذلك يعود إلى توافر أو عدم توافر الإمكانيات والأدوات الخاصة بأنواع الموسيقى الأخرى.

< ما الذي نتطلعون الي تحقيقه في المستقبل من خلال جمعيتكم الموسيقية... وما هو برنامجها للسنوات الخمس المقبلة؟

> الهدف العام للجمعية كان وما زال نشر الثقافة الموسيقية في المجتمع الفلسطيني بعامّة، وفي التجمّعات الفلسطينية، خصوصاً في المواقع التي نادراً ما يتوافر فيها هذا المجال. والذي نعمل على تحقيقه من خلال الآليات تنفيذ محدّدة، منها تأسيس مراكز ومدارس تعليم التربية الموسيقية، تنظيم مهرجانات وفعاليات موسيقية دورية، تأسيس الفرق والأوركسترات الفنيّة، وتشجيع طلابنا المتقدّمين لإكمال دراستهم الجامعية في التخصصات الموسيقية المختلفة ودعمهم.

فعلى سبيل المثال، بعد سنوات من عملنا في مخيمنا الفلسطينية في الضفة الغربية من خلال ورشات متنقلة، نعمل الآن من خلال مراكز معيّنة، سواء في قلنديا أو الجلزون أو الأمعري. كذلك يتم العمل على تسجيل الجمعية رسمياً في لبنان، حيث عملنا طويلاً في السابق على ذلك، عبر فرعا في برج البراجنة وشاتيلا منذ العام 2008. إضافة إلى ذلك، من المخطّط له فتح ورشة تصنيع وصيانة الآلات الموسيقية في مقرنا في رام الله، خصوصاً مع قرب تخرّج أحد طلابنا السابقين بعد إتمام دراسته الأكاديمية في هذا المجال في جامعة نيورورك في بريطانيا، ودراسة طلاب آخرين لدينا لهذا التخصص أيضاً. كما نعمل على تطوير كادرنا البشري وتوسيعه، سواء الإداري أم الأكاديمي. بدأنا منذ العام الماضي على تأسيس أرشيف للموسيقى العالمية والموسيقى العربية خاص بالجمعية، ليكون مرجعاً لأساتذتنا وطلابنا والمعنيين في المجال الموسيقي على نتطلع إلى تطويره وتحديثه في السنوات المقبلة.

< ما الذي نتطلعون إليه من خلال هذا المهرجان السنوي الذي تقيمونه للموسيقى في فلسطين؟

> نتطلع من خلال المهرجان إلى المساهمة في نشر الثقافة الموسيقية بعامّة في المجتمع الفلسطيني، والذي عملنا على أن يصبح تقليداً من تقاليد جمعية الكمنجاتي، والذي نركّز عليه من خلال بنية المهرجان وبرنامجها هو إيصال الموسيقى إلى الجميع، حيث تتمركز غالبية العروض وتنتقل فيما بين المؤسسات المجتمعية، كدور للأيتام، والمدارس، ومراكز كبار السن وغيرها، إضافة إلى العروض الخاصة في الفضاءات العامة، كحدائق ومراكز المدن والشوارع العامة وغيرها. نرى أن الموسيقى ليست حكراً على أحد، وليست بالضرورة مقيّدة في قاعات عرض ومسارح، والمهرجان وعروضه مجانية ومفتوحة أمام الجميع لهذا نتطلع الي أن تكون الثقافة الموسيقية جزءاً لا يتجزأ من ثقافتنا العامة، وتقليداً عاماً في مجتمعنا الفلسطيني نعبّر به عن أنفسنا، ونحتفي من خلاله بحياتنا ووجودنا. كذلك نعمل بشكل متواصل على تنظيم المهرجانات والفعاليات الموسيقية، بهدف إعادة إحياء ثقافة العروض الموسيقية وعادة الاستماع إلى الموسيقى، والتي تأثرت منذ أيام النكبة ومرور شعبنا بأكثر من سنتين عاماً من احتلال أرضه وثقافته <